مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد8/العـدد: 01 (2020)، ص ..-- ..

تشخيص أزمة الفكر التربوي في العالم الإسلامي عند"مالك بن نبي"

Diagnosing the crisis of educational thought in the Islamic world according to Malik bin Nabi

الأستاذة: فايزة بوثلجة[1]، الأستاذ: بوعقل إبراهيم[2]

[1]جامعة أبو القاسم سعد الله -الجزائر 02 (الجزائر)، faziabouteldja768@gmail.com

[2] جامعة مولود معمري (تيزي وزو)، brahimbouakel00@gmail.com

تاريخ الاستلام: ../../2020 تاريخ القبول: ../../2020 تاريخ النشر: ../../2020

ملخص:

تعدَ المشكلة التربوية من أهم التحديات التي تواجه الدولة الحديثة، كما كانت أيضاً منذ الأزمنة الغابرة مشكلة أساسية ليس فقط للمربين وإنَما للمفكرين والمصلحين الاجتماعين أيضاً، بل حتى رجال السياسة باعتبارها عنصرا جوهريا في مشكلة الحضارة، وقد واجه العالم الإسلامي المشكلة التربوية لأنّها كانت تعبر عن حقيقة واحدة والتي تتمثل في كيفية إعداد الإنسان المسلم لدخوله إلى التاريخ بعدما خرج منه، ومن بين المفكرين الذين تناولوا فكرة التربية بالتحليل والنقاش نجد المفكر "مالك بن نبي"الذي سعى لبناء منهج في التربية يتولى إعادة هيكلة الإنسان المسلم وإعداده لأداء وظيفته في التاريخ.

كلمات مفتاحيه: التربية.، مالك بن نبي.، الثقافة.، المجتمع.، الحضارة الإسلامية.

Abstract:

The educational problem is one of the most important challenges facing the modern state, as it has also been since the old times a fundamental problem not only for educators but also for social thinkers and reformers, but also politicians as an essential element in the problem of civilization, and the Islamic world faced the problem of education because it was a reflection of the one fact which is how to prepare the Muslim man to enter history after he came out of it, and among the thinkers who

addressed the idea of education by analysis and discussion we find the thinker "Malik Bin Nabi" who sought to build a curriculum In education, the Muslim man is restructured and prepared to perform his job in history, and we have already learned about civilization, culture and society, which are the main axes in the thinking of "Malik ibn Nabi", but the meditator of these axes finds that they are not devoid of their educational nature

Keywords: Education; Malik Bin Nabi; Culture; Society; Islamic Civilization.

JEL Classification Codes: …, …, …

المؤلف المرسل: الأستاذة: فايزة بوثلجة، الأستاذ: إبراهيم بوعقل

1. مقدمة:

لقد كان الاهتمام السائد طوال فترة من الزمن حول عملية التربية، إن أهم شيء في التعليم هو تلقين المعلومات للتلميذ بغض النظر عن شعوره وقدراته وميوله حيث انصَب الاهتمام على مادة التعليم الذي يهدف إلى حفظ المعلومات وليس فهمها واستيعابها، لكن مع ظهور مختَصين وفلاسفة التربية تغيرت النظرة إلى التربية حيث أصبحت عبارة عن مفاهيم وأهداف، بل وأصبحت ضرورة من ضرورات الحياة وهذا ما وقف عليه""مالك بن نبي"" مطولا واعتبر أنَ التربية هي بناء الإنسان وليس تلقينه، ولكي يتم الإصلاح التربوي كان لابدَ من إعادة تصنيع المعلومات بما يتماشى والتَطور العلمي والاجتماعي حيث أنَ العلاقة بين المنهاج والبيئة يجب أن تكون وثيقة وذات تأثير متبادل بحيث يستمد المنهاج من البيئة مشكلاته وموضوعاته ويكون مرآة عاكسة لبيئته .

وقد نبهنا ""مالك بن نبي"" إلى خطورة استيراد مناهج تربوية مثلما نستورد المنتجات أو السلع لأن ذلك يشكل خطورة على ذهن الفرد المسلم.

وسنحاول من خلال هذا المقال أن نقف علي نقطة مهمة جدا وهي محاولة تحديد و تشخيص لأهم الأسباب الأساسية التي أدت إلى خلق أزمة في الفكر التربوي عند معظم الدول العربية الإسلامية ""

وفي خضم كل هذا يتبادر إلى أذهاننا طرح الإشكالية التالية: كيف توصل مالك بن نبي إلى تحديد وتشخيص أزمة الفكر التربوي في العالم الإسلامي ؟

2. تشخيص أزمة الفكر التربوي عند ""مالك بن نبي"".

1.2 أسباب أزمة الفكر التربوي:

يرى ""مالك بن نبي"" أن أسباب الأزمة التربوية التي يعيشها المسلم اليوم تعود أساساً إلى غياب الشروط النفسية والاجتماعية اللازمة لتطور المجتمع "فأزمة العالم الإسلامي لم تكن أزمة في الوسائل؛ وإنَما هي أزمة أفكار (بن نبي، 2009، صفحة 117) التي تتأثر بعالم الأفكار الناتج من تكوين ثلاثة عوالم أساسية هي: عالم الأشخاص، وعالم الأفكار وعالم الأشياء، بحيث يتعلق عالم الأشخاص بالمجتمع والأفراد، و يتعلق عالم الأفكار بالثقافة أمَا عالم الأشياء فيتعلق بالمادة. وهذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة؛ "بل تتوافق في عمل مشترك تبدأ صورته الأولى من (عالم الأفكار) والتي يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء) من أجل غاية يحدَدها (عالم الأشخاص) (بن نبي، 2009، صفحة 27) ومن أجل هذا يري مالك بن نبي أنَنا اليوم بحاجة ماسة إلى الإنسان الجديد، الإنسان المتحضر، الإنسان الذي يدخل إلى طليعة التاريخ، لأن المشكلة الحقيقية لا تكمن في تغيير المؤسسات السياسية ولا في الحلول الترقيعية، وإنَما المشكلة الحقيقية تكمن في ذلك الإنسان الذي تغير وفقد همته ومؤهلاته الحضارية التي ترفعه إلى مستوى التحضر والارتقاء وتحقيق إنسانيته. (بن نبي، 2009، صفحة 36)

قد انعكست شخصية هذا الإنسان بدورها على النظام التربوي ومنهجه الذي غابت عنه "الفكرة" و"قيمتها" وهيمن عليه (قطاع التربية) "التقليد" وغاب "التجديد"، وأصبحت التربية تابعة للوضع السائد الجامد والمقلَد وغاب عنها دورها الريادي التجديدي القائد لحركة التغيير الحضاري، ولم تستطع التربية أن تحمل قيمًا صالحة أو أفكارا مبدعة تواجه بها طرفي النقيض: التقليد الجامد والاستلاب المتغرب (بن نبي، 2009، الصفحات 67-69) وينتقل "مالك بن نبي" إلى بُعد آخر يرصد فيه أسباب "الأفول" و"الأزمة" الحضارية، وهي الأسباب الإيمانية أو عدم الفعالية في الإيمان، والتي بدأت بوهن الدفعة القرآنية في أعماق الشخصية المسلمة وتكوينها النفسي والفكري والاجتماعي، لأن المسلم في نظر مالك بن نبي لم يتخل عن عقيدته فقد ظلَ مؤمنًا متدينًا [بالشعائر]، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنَها فقدت إشعاعها الاجتماعي وصار الإيمان إيمان فرد متحلَل من صلاته بوسطه الاجتماعي، وعليه فليست المشكلة

أن نُعلِّم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنَما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، لأن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ بهذا الشعور نفسه باعتباره مصدرًا للطاقة (بن نبي، 1992، صفحة 39).

لعلَ أحد أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الانفصال بين المسلم ومبادئ عقيدته وقيمها الجوهرية هو غياب مبدأ "المراجعة" و"النقد" الحضاري على المستوى الفردي والجماعي، وقد تأثر المجتمع الإسلامي المعاصر بغياب مبدأ المراجعة الذاتية في التكوين التربوي والثقافي بما أفقده القدرة على تطوير نفسه داخليًا حيث حلَت الـ "عصمة" على آراء القيادات السياسية والتربوية وتغلغلت، مما أفقده البعد النقدي الحضاري الذي لاَزَمَ عملية بناء المجتمع الإسلامي الأول، ومن ناحية أخرى تكمن في فقدان المجتمع الإسلامي القدرة على الاستجابة للمتغيرات الخارجية والتحولات التاريخية الجارية وأظهره بمظهر العاجز عن مسايرة عصره، ويعتبر عامل غياب التربية الإيمانية الفاعلة في بناء الشخصية المسلمة من أسباب التراجع الحضاري للأمة، فالانفصال القائم بين اعتقاد المسلم وبين واقعه وفعله وسلوكه، نتج عنه غياب القيم الإسلامية عن العمل فغابت قيم العلم والتعليم والعمل، ونتج عن ذلك عدم القدرة على تشخيص واقع الأمة ومرضها الاجتماعي والحضاري مما تسبب في العجز عن طرح العلاج المناسب لها فطال الألم وزاد المرض والتقهقر. (بن نبي، 2009، الصفحات 26-27-30).

وقد ظهر أثر الاستعمار في نظامنا التربوي في استيراد نظم التعليم من الغرب والتي تتمثل في بنية النظم التعليمية العربية والإسلامية، وربطها بالإيديولوجيات الاقتصادية وكذا السياسية، وقد أسفر هذا التَدخل عن عدة إشكاليات أهمها صرف العقل التربوي العربي عن رؤى الإصلاح الداخلي للنظام التعليمي والاتجاه نحو الاستيراد والتبعية فيما لا يجدي معه ممَا انعكس على الهوية وبناء الشخصية العربية المسلمة (بن نبي، 2009، صفحة 31)

2.2 التربية كمشكلة:

يرى"مالك بن نبي"أنَ مشكلتنا ليست في تغيير الأنظمة السياسية السائدة ولا في انتهاج نظام اقتصادي معين، إنما أصل المشكلة هو تغيير الإنسان الذي تحللت تركيبته الإنسانية، فتحلَلت معه الحياة "بعدما أكمل دورته الحضارية لأن هذا الإنسان لم يتعامل – حسب "مالك بن نبي"- مع جوهر المشكلة وحقيقتها وإنَما تعامل مع أعراضها ومظاهرها بحكم أنَه هو الذي أنتج مثل هذه المؤسسات الفاشلة العاجزة

عن أداء مهامها الاجتماعية ، هذا الإنسان الذي يتواجد في هيئة الباشا أو مثقفاً مزيفاً، يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي ستنتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين.

من أجل توضيح هذه الفكرة تعرض بن نبي بالتحليل لمختلف مظاهر التَخلف التي تدل على تمادي هذا النموذج التربوي الرديء في حياة المسلمين، وكدلالة على تمادي المشكلة إلى اليوم على الرغم من مضي عدة عقود على جلاء الاستعمار من العالم الإسلامي، ما ورد في كتاب وجهة العالم الإسلامي إذ يقول:"فالنقائص التي تعانيها النهضة الآن، يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن في طليعة التاريخ (بن نبي، 1992، صفحة 36)، ويعترف "مالك بن نبي" أنَ المشكلة التربوية ليست أبداً بالسهلة كما يظن البعض لأن المسألة لا تتعلق في إيقاظ ذلك الصبي صباحاً ولا حشو محفظته بالكتب وإنَما تتطلب المشكلة جهدا استثنائيا لأنَ إعداد الإنسان للدخول في الحضارة أصعب بكثير من صنع محرك أو بناء قصر. وحتى عن ترويض قرد على استخدام رباط العنق. فالعلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم من أكثر العلوم ضرورة، فلا لابد إذن أنَ لا يغيب هذا الإنسان عن أنظارنا عندما ندرس نشأة المشكلات وحلولها، ولعل أول ما يمكن أن نتوصل إلى تسجيله في هذا المقام هو انهيار سلم القيم الاجتماعية الذي يحدَد لكلَ فرد موقعه ودوره الاجتماعي وطبيعة العلاقات التي تربطه بغيره من الأفراد لتكتمل بذلك شبكة العلاقات الاجتماعية باعتبارها العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، وهذا الانهيار والتقهقر إنَما هو في الحقيقة تعبير عن الخلل الذي أصاب المنظومة التربوية والثقافية للمجتمع باعتبارها هي التي تحدَد شبكة العلاقات الاجتماعية (بن نبي، 1992، صفحة 38)

وبناء على ما قلناه آنفاً، فإنَ"مالك بن نبي" يعتقد أنَ نقطة الانطلاق لاستئناف دورة حضارية إسلامية جديدة تكمن في استئصال الأورام النفسية والفكرية والاجتماعية السلبية التي أسقطت المجتمع المسلم منذ ستة قرون، وتجديد كيان الإنسان المسلم طبقاً للتعاليم الإسلامية الحقَة ومناهج العلم الحديثة وبعبارة أخرى تجاوز وضعية الإفلاس والفشل والعجز وهذا عن طريق التغلب على العقبات النفسية والعادات السلبية التي تجمعت وتراكمت في منظومتنا التربوية منذ قرون مضت، وهي التي جعلت المسلم لا

يتحرج من وضعيته أو ممارسته لدور المتفرج على التاريخ بدلاً من دور الفاعل الذي يصنع التاريخ و يوجهه ولهذا فالإنسان المسلم المتجدد أصبح ضرورة لا مناص من تحقيقها، "فالمسألة يجب أولا أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى وكذا إعادة الصياغة التربوية لشخصية الإنسان المسلم لتمكينه من الانتقال من وضعية الإنسان المتخلف بكل ما يحمل هذا المفهوم من معني إلى وضعية الإنسان المتحضر الذي يتمتع بمؤهلات الدخول في الحضارة من أجل الأداء الناجح لوظيفته في التاريخ (بن نبي، 1992، الصفحات 37-54)وفقا للمعنى الذي قرره القرآن الكريم في قوله تعالى:" وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ؛سورة البقرة الآية 143).

3.2 التربية كوسيلة فعالة لتغير الإنسان:

قام "مالك بن نبي" بصياغة مفهوم التربية على أنّه مشروع متكامل للتحضر الإنسان وتأهيله للمساهمة في بناء المجتمع التاريخي المتحضر، بحيث تضمن تعريفه للتربية الموضوع والأداة والهدف والوجهة النهائية للمشروع، حيث نجده يقول : {**ليست التربية مجموعة من القواعد والمفاهيم النظرية التي لا سلطان لها على الواقع، على عالم الأشخاص، وعالم الأفكار وعالم الأشياء، وليست هي من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم دون أن يلموا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع، بل هي وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكّون معهم مجموعة القوى التي تغير شروط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكوّن معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ**} (بن نبي، 2009، الصفحات 99-100)

4.2 التربية كعملية منهجية هادفة إلى استيعاب القيم الثقافية:

تناول "مالك بن نبي" مفهوم التربية وهو يناقش مشكلة الثقافة، فيّعرفها بناء على ذلك أنَها عملية تمثل العناصر الثقافية التي يمتصها الفرد من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ذلك لأنَ الثقافة ليست فقط ذلك المناخ النفسي والاجتماعي الذي ينمو فيه الفرد بل تتجاوز ذلك، ولهذا السبب يرى "مالك بن

نبي" أنَما يجب القيام به لبناء الفرد وتربيته هو "تركيب عناصر الثقافة بطريقة تتشكل منها المنظومة الثقافية للمجتمع في إطار منهج تربوي قابل للتحقيق (بن نبي، 2009، صفحة 61)

يؤكد "مالك بن نبي" أنَ ثمة ارتباط قائم بين التربية كأداة، ومنظومة القيم الثقافية كمحتوى تربوي والحضارة كمنتوج تربوي، بحكم أنَنا نتعامل مع مشكلة الثقافة باعتبارها منهجاً تربوياً ينتظر التطبيق ويستهدف تجسيد معاني التَحضر في إطار تربوي قائم على فلسفة أخلاقية محددة باعتبار هذه الفلسفة هي البعد الأساسي الذي يحدَد المعالم المميزة لهذه العملية التي تستهدف تأهيل الفرد للفعل التاريخي المجسد لمعنى التَحضر في الحياة الاجتماعية (بن نبي، 1992، الصفحات 48-49).

تتجلى التربية باعتبارها التجسيد العملي للمثل الثقافية للمجتمع عن طريق بناء المجتمع التاريخي المتحضر، كما تصبح الثقافة مصدر إلهام للتربية بحكم أنَها هي التي تضفي دلالة تاريخية على الفعل التربوي ذاته. من هنا فإنَه بعد استكماله للعناصر الثقافية يصبح الفرد مرآة عاكسة لثقافة المجتمع مهما كان الموقع الاجتماعي الذي يحتله أو الوظيفة التي يضطلع بها، حيث يستوي ذلك الطبيب والفلاح والراعي والحاكم فالطبيب يمكن أن يتَحد مع الراعي في السلوك الاجتماعي على الرغم من اختلاف طبيعة السلوك المهني لكل منهما بحكم نوع الوظيفة التي يزاولها كل واحد منهما (بن نبي، 2009، الصفحات 51-54).
إنَ مثل هذا الأسلوب في التعامل مع الأفكار والأشخاص والأشياء إنَما هو مبني على مجموعة من المعايير تمليها على الفرد القيم الثقافية التي تزخر بها المنظومة التربوية التي شكلت شخصيته على امتداد الزمان ومن هنا نستنتج أن الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة (بن نبي، 2009، الصفحات 88-89).

ومن خلال ما أشرنا إليه فيما يتعلق بمفهوم التربية ودورها في استيعاب القيم الثقافية يمكن أن نصل إلى خلاصة مفادها أنَ التربية تنحصر في عملية النقل المنهجي المقصود لعناصر المنظومة الثقافية للمجتمع إلى الأجيال الصاعدة بهدف ضمان استمرار المجتمع، وقد انصبت اهتمامات"مالك بن نبي" على كيفية صياغة نموذج جديد لمنظومة أصيلة تتشكل على أساسها شخصية الإنسان المسلم المعاصر ولعلَ هذا هو الذي ميَز "بن نبي" عن كثير من المفكرين والمربين العرب الذين لم تتجاوز نظرتهم إلى التربية

كونها أداة تستخدم لترسيخ سياسة الأمر الواقع على المجتمع فكانت نتيجة لذلك سبباً في تمادي وتعقيد وضعية التَخلف المزدوج في مجتمعات ما بعد الاستقلال في العالم الإسلامي (عبادة، 1984، صفحة 127).

5.2 التربية عملية إعداد الفرد نحو تكييفه في المجتمع:

قدم لنا "مالك بن نبي" في كتابه ميلاد المجتمع تعريفا للتربية وأثرها على الجانب الاجتماعي وكان هدفه من ذلك تهيئة الفرد ليصبح مؤهلاً للحياة الاجتماعية من أجل أن يفرض موقعه فيه, لأنَ الفرد في نظره يأتي إلى هذه الدنيا في حالته الفطرية البدائية"، فالمجتمع هو الذي يتولى عملية تكييفه طبقا لأهدافه الخاصة ، ولكي يبني الفرد شبكة علاقاته الاجتماعية عليه أن يندمج في المجتمع وأن يجسد في ذاته واقعاً نفسياً معيناً، ويعد هذا الواقع شرطاً أساسياً وضرورياً لكي يندمج هذا الفرد في الحياة الاجتماعية (بن نبي، 2009، الصفحات 65-66)، وقد ساهمت التربية من الناحية الاجتماعية من نقل الفرد من وضعية الفرد الخام إلى وضعية الفرد المنتج لذلك فإن نقطة الانطلاق في كل عملية تربوية تستهدف تأهيل الإنسان لوظيفته التاريخية فضلاً عن إدماجه في المجتمع والتي تبدأ من اللحظة التي ينتقل الفرد فيها من كونه فرداً إلى كونه شخصا وهذا لن يتم إلا عن طريق العمل وتغيير صفاته البدائية وفي هذا المعني نجد "مالك بن نبي" يقول (إن إدماج الفرد في شبكة اجتماعية هو في الوقت ذاته عملية انتقاء)، وتتم هذه العملية المزدوجة في الظروف العادية، أي في حالة المجتمع المنظم –بوساطة المدرسة –وذلك ما يسمي التربية (بن نبي، 2009، صفحة 67)

نظرا لحساسية المسألة يمكن أن نوضحها بطرح سؤال مهم وهام وهو: هل يحسن أن نتعامل مع التربية في العالم الإسلامي كعملية للتكييف أم عملية للتكيف؟ وبعبارة أوضح أي المنظورين أصلح لتربية الأجيال عندنا، التربية كعملية إعداد الفرد ليتكيف ويتأقلم مع واقع موجود بصرف النظر عن طبيعة هذا الواقع، أم هي عملية إعداده ليتمكن من تكييف الواقع وتغييره وفق النموذج الثقافي المنشود.

إنَ التعامل مع التربية بالمنظور الأول ينطلق من قناعة مفادها أنَ المشكلة التربوية عندنا تتلخص في كون الواقع الذي نعيشه هو أفضل ما يمكن أن نتصوره و نوفره لأبنائنا، وأنَ مختلف المنظومات التي ينطوي

عليها هذا الواقع هي في أكمل حالاتها وأحسنها، ولهذا فأفضل ما يمكن أن نسديه للأجيال من خير هو أن نعدهم ونؤهلهم ليصبحوا قادرين على الاندماج في هذا الواقع ومن ثم التكيّف معه والعمل من أجل الاستمرار باعتبار أنَه واقع يمثل النموذج الأمثل لما يمكن أن يكون عليه المجتمع. أمَا التعامل مع التربية بالمنظور الثاني فهو خلاف الأول لأنَه مبني على قناعة مفادها أنَ الواقع الفعلي للمجتمع لا يمثل التجسيد الحقيقي للتصور النموذجي لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، ولهذا فمهمة التربية تنحصر في إعداد الفرد وتأهيله تربوياً بشكل يجعله قادراً على المساهمة في تغيير الواقع تغييراً إيجابياً وتكييفه وفقاً للرؤية التي يتضمنها النموذج التربوي المنشود لأنَ المجتمع الحقيقي ليس مجرد عدد من الأفراد بقدر ما هو تمكينه من نقل الفرد المشروط (المكيّف) من حالة بدائية إلى حالة نافعة بحيث يتولى تشكيله ليكيفه طبقاً لأهدافه الخاصة وهو ما كان يقصده الرسول ص(**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) معني الحديث أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها هي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: **{أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى}** [الأعراف:172]. فالتكيّيف يجعل الفرد أهّلا لأنَ يتخذ مكانه وأن يقوم بدوره في المجتمع (بن نبي، 2009، الصفحات 65-67).

6.2 التربية عملية إعداد الفرد للاندماج في المجتمع:

يرى "مالك بن نبي" في كتابه (ميلاد المجتمع) أنَ التربية هي عملية إدماج الفرد في المجتمع وتأهيله للقيام بدوره المناسب وفقاً لما يملكه من استعدادات فطرية وما اكتسبه من مهارات ومن ثمة تمكين المجتمع من أداء وظيفته في التاريخ، معناه تمكينه من الدخول في فلك الشبكة الاجتماعية، وهذا من أجل تجسيد واقعة النفسي كشخص وليس كفرد، ولا شك في أن هذا الاستعداد ليس إلاَ ثمرة عملية تربوية منهجية هادفة واعية ومكثفة وبحكم أنَ هذه العملية تنطوي أيضاً على عملية تغيير وإعادة صياغة الطاقة الحيوية للفرد-كما يقول مالك- من شكلها البدائي الذي ينطلق فيه الفرد من مبدأ الغريزة ويتعامل بها على أساس المحافظة على النوع إلى شكل أرقى من التعامل الاجتماعي المتحضر الذي يظهر الفرد ككائن اجتماعي، وقد اختلف "مالك بن نبي" عن غيره من علماء التربية فيما يخص بالمقصود من وراء عملية الإدماج الاجتماعي ففي نظره فإن هذه العملية لا تعني تماماً ما يعنيه علماء التربية عند إشارتهم إلى عملية

التطبيع الاجتماعي الذي يتجه أساساً إلى النشء قبل غيرهم من أفراد المجتمع من أجل تأهيلهم للاندماج في واقع موجود، وإنَما الذي يعنيه هو إعادة تأهيل الفرد المسلم مهما كان عمره من أجل التمكن من المساهمة في إعادة بناء مجتمع ما بعد الاستقلال وتمكينه من أداء وظيفته التاريخية على شكل حركة اجتماعية متناسقة يشق بها المجتمع مسيرته في التاريخ لتسجيل حضوره كشاهد، ويؤكد "مالك بن نبي"أنَ عملية الاندماج الاجتماعي ذات طبيعة مزدوجة، وفي هذا المعني نجده يقول(إنَ إدماج الفرد في شبكة اجتماعية عملية تنحية، وهو في الوقت ذاته عملية انتقاء وتتم هذه العملية المزدوجة في الظروف العادية أي في حالة المجتمع المنظم بواسطة المدرسة وذلك ما يسمي بالتربية (بن نبي، 2009، الصفحات 67-68).

إن إدماج الفرد في شبكة العلاقات الاجتماعية هو عملية تنحية وهو في الوقت ذاته عملية انتقاء أمَا التنحية فيقصد بها التخلي عن العادات المنافية للنزعة الاجتماعية، وأمَا الانتقاء فينصب على استبدالها بأسس أكثر توافقاً مع مقتضيات الحياة الاجتماعية، وبهذه العملية-حسب "مالك بن نبي"- يكون الفرد قد خطا خطوة ذات دلالة في بناء ذاته وتحديد العناصر الأساسية والمميزة لشخصيته وفقاً لنموذج المنظومة الثقافية للمجتمع (بن نبي، 2009، الصفحات 219-220).

3. خاتمة:

توصل "مالك بن نبي" من خلال تحليله النقدي إلى تحديد وتشخيص لأهم الأسباب الأساسية التي أدت إلى فشل مختلف محاولات الإصلاح التربوي لأنَ المشكلة الإسلامية هي مشكلة حضارية في طبيعتها وتربوية في جوهرها، ولهذا فهو يرى أنّ الإنسان المسلم المتخلف قد تحللت تركيبته الشخصية حيث لم يحسن كيفية التعامل مع جوهر المشكلة وحقيقتها وإنَما تعامل مع مظاهرها وأعراضها ومن بين أهم أسباب هذا التخلف والانحلال يرجعها مالك بن نبي إلى ما يسميه بأزمة (عالم أفكار) فالعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة من التخلف عن أداء رسالته، ويتضح هذا الاختلال في عالم الأفكار الذي أدي إلى خلق عدم التوازن في (عالم الأشخاص – عالم الأشياء) وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى طغيان عالَم على آخر، أو أن تستبدل الأدوار بين العوالِم، أو يغيب دور عالَم فتغيب وظيفته في البناء الحضاري، وهذا الخلل

يحدث عندما "يكون النشاط مركزًا على الأشياء أو على الأشخاص أو على الأفكار، وكل إفراط هو ضرب من طغيان نشاط على حساب نشاطات أخرى ولعل أنَ الملفت للنظر في الفكر التربوي عند مالك بن نبي هو تركيزه أكثر على البعد الاجتماعي كما سبق ذكره آنفا، ممَا يجعلها تدخل تحت ما يسمى بـ " التربية الاجتماعية " لكن هذا لا يعني إطلاقا أنَها تربية تضحي بالفرد في سبيل المجتمع، مثلما هو الشأن مع النظريتين الماركسية والدوركايمية بل إن هذا الاهتمام الزائد بالجانب الاجتماعي يعبر في واقع الأمر عن أهمية التربية الاجتماعية ودورها الفعال للإقلاع الحضاري التي تقتضيها المرحلة التاريخية، باعتبار أن المهمة ليست في متناول الفرد الواحد مهما أوتي من عبقرية، فتحقيق المجتمع للحضارة كمرحلة متطورة من مسيرته التاريخية يأخذ كامل معناه عند بن نبي عندما يصبح كل فرد من أفراده ينعم بجميع الشروط المادية والمعنوية التي تساعده على النمو في كل طور من أطوار وجوده كما يصبح كل فرد فيه قادرا على تحقيق ذاته والتعبير عن قدراته بمعنى أن الحضارة إذا ما تحققت استفاد الفرد من قيمها وضماناتها وبهذا يصبح قوام فلسفة بن نبي التربوية هو المجتمع و الفرد معاً، كل منهما يؤازر الآخر في عملية تأثير متبادل تحفظ كيان المجتمع و تضمن استمرارية حركته

4. قائمة المراجع:

المراجع

عبد اللطيف عبادة. (1984). صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي. الجزائر: دار الشهاب باتنة .

مالك بن نبي. (2009). شروط النهضة(مشكلات الحضارة). *09* . (عبد الصابور شاهين، المترجمون) دمشق سوريا : دار الفكر.

مالك بن نبي. (1992). مشكلة الافكار في العالم الاسلامي. (بسام بركة، و احمد شعبو، المترجمون) دمشق سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (1992). مشكلة الافكار في العالم الاسلامي(مشكلات الحضارة). *03* . (بسام بركة، و احمد شعبو، المترجمون) دمشق سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2009). مشكلة الثقافة ،(مشكلات الحضارة). *09* . (عبدالصبور شاهين، المترجمون) دمشق سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2009). ميلاد مجتمع(شبكة العلاقات الاجتماعية) ج1 (مشكلات الحضارة). *09* . (عبدالصبور شاهين، المترجمون) دمشق سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2009). *وجهة العالم الاسلامي(مشكلات الحضارة)* (المجلد 09). (عبد الصابور شاهين، المترجمون) دمشق سوريا : دار الفكر .